

فالظاهرة ترى لكنها لا تثير العقل بل تثير عواطف الفارس الكامن في بطون الكتب الصفراء « حديث النكسة... حديث يدمي القلب ويهز الاعصاب ، ان بوسعنا ان نبكي ولكن ما هذا شأن الرجال » (١٠). تدور المحاكمة هنا بين القلب والرجال حيث يبرز حنين الى عهد الفروسية مغترب عن القرن العشرين ، وحيث ينبعث تطلع عنين الى ماضٍ مجيد قديم ، ويلعب الماضي المجيد هنا دورا في تجميل الحاضر البائس ، وتصبح فروسية الاقدمين مخدرا لبشاعة الحاضر ، ويصبح الفكر المتخلف الراهن هنا مغتربا عن حاضر بسبب قربيه وعن ماضٍ بسبب بعده ، فهو لا يطاول لا شرف الماضي ولا تقدم العصر ، فيغتضب الحاضر والماضي . فالفكر المتخلف عاجز عن فهم الحاضر « انتهزت اسرائيل ومؤيدوها من دول الغرب الخلاقات العربية وخططت لجر العرب الى الحرب وهم غير مستعدين لها » (١١) .

وكما نرى هنا فان التحليل ينسى كليا الحقل السياسي والنفسي الذي سيطر قبل الخامس من حزيران . وهذا النسيان بلا شك ليس اراديا فقط بل يعود أيضا وبشكل رئيسي الى فكر غريب عن منجزات العصر ، فعندما يصبح عنقرة حاضرا يتلاشى تماما مقال الحرب العلمي « ان العربي شهيم ابي ، يفور امام كل ضميم يلحق به أو اعتداء يقع عليه ... وهو لا يرضخ مطلقا أمام القوة بل يفضل الموت على الرضوخ » (١٢) . ينسى هذا التفكير معطيات الواقع العياني ، اي الطبيعة التطبيقية للأنظمة « المحاربة » واللاهثة من أجل مصالحها الانانية . لذلك فهو يردد أيضا معطى من معطيات الفكر القبلي والغيبي ، عبادة الفرد القائد من خلال رؤيا أخلاقية تعيسة ، فالعربي لا يعتبر المحنة منحة فقط بل يفخر بقادته حتى عندما يصنعوا الهزيمة « العربي يعتز بقادته وهو يرجو أن يكونوا دائما خيرا لبلاده ... وهو مؤيد لهم ... ومدافع عنهم » (١٣) . وهكذا يطير الفكر المتخلف في عالمة الضبابي فلا يرى أخطاء ولا هزيمة ، لان هذه لم تكن نتيجة لممارسة جهاز محدد بل بسبب « الزاوغسة التي استعملها الامريكان والبريطانيون ضد العرب » (١٤) ، وتصبح الهزيمة هكذا نتيجة مؤامرة عالمية يقارعها العربي وحيدا ، فالعجز أمام فهم الواقع يفرز كل الاطروحات اللامنطقية الأمة في تبرير الهزيمة وامرارها ، ويقفز الفكر المتخلف هنا من عنقرة الى الصليبيين بواسطة شوفينية بائسة « لو ان هذه الاحداث وقعت في غير البلاد العربية والاسلامية لما بقي أحد في دنيا التمدن المزعوم الا رفع صوته بالاستنكار والاستهجان والمطالبة بالقصاص » (١٥) .

يعود الفكر المتخلف بعد ذلك الى ذاته ليبتلع فشله مغتصبا المجد الغابر « العرب اعتادوا ممارسة الكفاح الطويل ، في مختلف العصور والظروف والبقاع ، وكان النصر دائما حليفهم ، والاندحار رفيق أعدائهم » (١٦) . نلمس هنا صنمية الماضي ، أي يصبح الماضي مزارا ليس لقيمته الذاتية بل ليجهل وجه الحاضر المشوه ، ان دورة الفكر هنا ينوس بين محورين ، الماضي والمستقبل ، أما الحاضر فهو غائب باستمرار لانه لا يمكن استعماله وظيفيا الا بقدر .

منطق التبرير

لم تقدم الصحافة العربية تحليلا لهزيمة الخامس من حزيران بل قدمت تبريرا لها ، ومعنى ذلك القفز فوق السبب الحقيقي للهزيمة والبحث عن جملة أسباب أخرى خارجية ، فلا يمكن السبب في بناء الجهاز المسؤول بل في جملة عوامل خارجة عن ارادته وبنينه وتصوراته ، وهذا يعني ان السبب خارجي أو عرضي وليس بنوييا .

من أول التبريرات « اننا » لم نحارب اسرائيل بل الامبريالية العالمية قاطبة ، أي ان الانظمة كانت كاملة لكن الخصم أقوى مما يجب « النصر العسكري الذي تدعيه اسرائيل